

درس شيخنا المحدث محمد يونس الجونفوري رحمته الله

بقلم تلميذه عبد الأحمد بن يوسف الرانديري الفلاحي

(ألقى شيخنا هذا الدرس عام ١٤٣٧هـ حين حضر مجلسه الشيخ فريد الباجي المالكي التونسي، وكتبه زميلي مولوي جابر الميواتي ثم نقلته من دفتره ونقحته وحققته وعلقت عليه)

بسم الله الرحمن الرحيم

بواب الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي مولا هم صلوات الله

باب ما ذكر في الحجر الأسود

غرض المصنف بهذه الترجمة ذكر فضيلة الحجر الأسود، والدليل عليه أن خاتم النبيين، إمام المتقين، قائد الغر المحجلين، سيدنا محمد النبي الأمين صلوات الله قبل الحجر الأسود واستلمه ففيه فضل عظيم.

أيها الطلبة! إن النبي صلوات الله حامل لواء التوحيد، وقائم مقام أبيه إبراهيم الذي قابل حكومة نمرود الظالمة الغاشمة، ودعاهم إلى التوحيد، فالله سبحانه وتعالى قيده لنبينا صلوات الله وجعله خاتم النبيين بل أكمل النبيين صلوات الله والدليل على أكمليته صلوات الله أنه لما جعل نبيا انقطعت النبوات كلها، وما بقي في عهده نبي ولا بقيت دعوة، بل الدعوات كلها انصرفت إلى النبي صلوات الله وهو يقول: ”بعثت إلى الأحمر والأسود.“

[قلت: أخرجه محمد بن سعد بهذا اللفظ من حديث عبد الله بن جعفر،

الطبقات الكبرى لا بن سعد: ٩٢/١ وأخرجه الحافظ ابن كثير بهذا اللفظ في ضمن تفسير آية ”قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا“ من حديث أبي موسى صلوات الله

أخرجه مسلم من حديث جابر في المساجد بلفظ ”بعثت إلى كل أحمر وأ سود“ الرقم: ٥٢١، والبخاري منه في التيمم بلفظ ”بعثت إلى الناس عامة“ الرقم: ٣٣٥، وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله: قيل: المراد بالأحمر العجم وبالأ سود العرب وقيل: الأحمر الإ نس و الأسود الجن، وعلى الأول التنصيص على الإ نس من باب التنبيه بالأدني على الأعلى لأنه مرسل إلى الجميع وأصرح الروايات في ذلك وأشملها رواية أبي هريرة رضي الله عنه عندهم سلم ”وأرسلت إلى الخلق كافة“ انتهى]

وقال (الشيخ يونس رحمته الله): وقد ورد في فضل الحجر الأ سود حديث رواه الترمذي فقال: ”نزل الحجر الأ سود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم.“

[قلت: أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنه وقال: حديث ابن عباس رضي الله عنه حديث صحيح، الرقم: ٨٤٤، انتهى.]

فبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث أمرين: (١) نزل الحجر الأ سود وهو أشد بياضاً من اللبن (٢) سودته خطايا بني آدم.

ومن المعلوم لديكم أن بين اللفظين ”أبيض“ و ”سودته“ تناسباً ظاهراً، هذا أبيض وذلك أسود أي على وجه المقابلة، ولكن جاء رجل متصوف - اسمه محمد بن علي الطائي المشهور بابن العربي - وقال: سودته خطايا بني آدم أي جعلته خطايا بني آدم سيداً للأحجار فانظر - أيها الطائب - إلى هذا المتصوف، هو يهون أمر الأصنام ويحرك بكلمته أذهان الناس، ويزيل ما وقع في أذهانهم من سوء عبادة الأصنام وهو يقول: فإذا كان الخطأ

مسود الحجر على جميع الأحجار، فلا بد أن يكون في الخطأ شرف وعزة وكرامة، فلا حرج في عبادة الأصنام، وجعل عبادة الأحجار حسنة بالإشارة لا بالعبرة.

[قلت: قال ابن العربي في الفتوحات المكية: إن الله أنزل الحجر الأسود منزلة

اليمين الإلهي التي خمر الله بها طينة آدم حين خلقه فسودته خطايا بني آدم، أي صيرته سيّداً بتقيلهم إياه، فلم يكن من الألوان من يدل على السيادة إلا اللون الأسود، فكساه الله لون السواد ليعلم أن ابنه قد سوده بهذا الخروج إلى الدنيا، كما سود آدم فكان هبوطه هبوط خلافة لا هبوط بُعد، ونسب سواده إلى خطايا بني آدم كما حصل الاجتباء والسيادة لآدم بخطيئته، أي بسبب خطايا بني آدم أمرو أن يسجدوا على هذا الحجر ويقبلوه ويتبركوا به ليكون ذلك كفارة لهم من خطاياهم فظهرت سيادته لذلك فهذا معنى سودته خطايا بني آدم أي جعلته سيّداً، وجعلت اللونية السوداء دلالة على هذا المعنى، فهو مدح لازم في حق بني آدم، انتهى قول ابن حجر رحمته الله]

[قلت: قال ابن عربي المالكي ضمن الحديث المذكور في شرحه للترمذي

(عارضه الأحوزي): "انظروا إلى أثر الذنوب على القلوب فإن كان أثرها هكذا على الحجر فما بالكم بأثرها على قلب البشر؟" انتهى. قلت: هذا يدل على أنه (ابن عربي) يعني بكلمة "سودته" اللون الأسود، ولعل عارضة الأحوزي من أول تأليفاته والفتوحات بعده كما يظهر من بعض الأمور - والله أعلم -.]

فقال: تصور - أيها الطالب - أن هذا الرجل كيف حُرف الكلم عن مواضعه،

وهكذا يحرف هذا الرجل الكلم عن مواضعه وفي جميع كتبه تحريفات والناس يعتقدون

فيه اعتقادا كبيرا، وهو الذي كان يدعو إلى وحدة الوجود فإذا كان الوجودوا حدا فهذه المخلوقات خرجت منه فكيف الحلال والحرام والطهارة والنجاسة وغيرها؟؟؟ والله تعالى يقول: ”أقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق“ فالله خالق وكل ما سواه مخلوقه، وهذا الرجل المتصوف يقول: بل المخلوق جزء من الله - عز وجل -، وهذه أعجوبة ومفسدة كبرى، ولا يتوجه الناس إلى مثل هذه المفاصد، وهم يقولون: فلان كذاو فلان كذاوا علموا أن الدين ليس عند فلان وفلان؛ بل الدين ما جاءنا من النبي ﷺ لأن الله تعالى يقول في سورة الفتح: ”محمدرسول الله“ والله تعالى أكبر من كل شيء حتى لا يمكن لأحد رؤيته، فسأله موسى عليه السلام وهو من أولي العزم من الرسل: ”رب أرني أنظر إليك“ فقال: ”لن تراني“ وكلمة ”لن“ للنفي المؤكد في المستقبل فقال - لن يمكن - ”ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني“، ثم ماذا وقع؟ قال الله تعالى: ”فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا.“

أيها الطلبة: هذا شأن ربنا فيقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: إن النبي ﷺ قال: ”إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.“

[قلت: أخرجه مسلم في الإيمان من حديث أبي موسى، والحديث بتمامه ما يلي: عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجاب النور وفي رواية أبي بكر: النار، لو كشفه لأحرقت

سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، الرقم: ١٤٩]

وقال: المخلوقات كلها تنعدم وتحترق حين ظهور وجهه تعالى ولا يبقى شيء

أمامه، حتى لم يستطع موسى عليه السلام أن يراه فكيف تخرج منه السماء والأرض وغيرهما.

واعلموا أن عقيدة وحدة الوجود عقيدة فاسدة، ومن اعتقد بالحلول والاتحاد

فهو منكر للقرآن ومنكر للرسل صلوات الله عليهم ومنكر لما كان عليه الصحابة والتابعون ومن

بعدهم -رضى الله عنهم- وهذه عقيدة ابن عربي ولكن كان ذلك الزمان زمان الصوفية

الجاهلين فلذا لم يتكلم فيه أحد إلا ابن تيمية وسراج الدين البلقيني الشافعي والحافظ ابن

حجر وغيرهم. ونحن أمثالنا كالذابة الصغيرة نبتئس بهذه الكلمات ولا نقول شيئاً بهذا

أكتفي. والله سبحانه أعلم.

[قلت: (١) وأيضاً هذه (عقيدة وحدة الوجود) عقيدة ابن سبعين وابن الفارض

والتلمساني وابن برجان وأتباعهم ممن سلك سبيلهم ودان بنحلتهم.

(٢) [قلت] وأيضاً تكلم عليه (ابن عربي) بدر الدين بن جماعة وخطيب القلعة

شمس الدين محمد بن يوسف الجزري الشافعي والفقيه أبو محمد بن عبد السلام وابن

خلدون والسبكي وأبوزرعة العراقي وغيرهم. ومن يريد المزيد من المعلومات فليراجع

كتاب تقى الدين الفاسي "عقيدة ابن عربي وحياته". -وصلى الله على النبي الأمي-]

نقمه وحققه وعلق عليه عبد الأحمدين يوسف السورتي الفلاهي

وفرغ منه يوم الجمعة، ١٩ ذي القعدة - ١٣٣٨

ترجمة شيخ الحديث الإمام المحقق محمد يونس الجونفوري السهارنفوري رحمه الله

(1438-1355)

انتقل صبيحة اليوم الثلاثاء 17 شوال (بتقويم أم القرى، 16 في الهند) سنة

1438 شيخنا الإمام المحدث المحقق الجهبد القدوة الزاهد محمد يونس بن شبيب أحمد بن شير علي الجونفوري السهارنفوري، شيخ الحديث في جامعة مظاهر العلوم بسهارنفور، وشارح صحيح البخاري وغيره، بل أحد أبرز المتخصصين فيه منذ دهر رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

وُلد شيخنا رحمه الله في قرية كوريني قرب جونفور، خامس عشرين رجب سنة 1355، توفيت أمه وهو ابن خمس، فربته جدته لأمه، وكانت من الصالحات، فتربى في بيئة متدينة، ثم التحق بالكتاتيب وأخذ فيها القراءة والكتابة والمبادئ، وبعدها انتقل إلى مدرسة ضياء العلوم بماني كلان قرب قريته، واستزاد من العلوم فيها، وأكثر استفادته فيها من الشيخين ضياء الحق الفيض آبادي، وعبد الحليم الجونفوري، رحم الله الجميع.

ثم التحق بجامعة مظاهر العلوم في سهارنفور في شوال سنة 1373، وتخرج منها بعد ثلاث سنين، وتضلع من العلم، خاصة من الحديث الشريف.

ولازم عدداً من الأكابر، منهم شيخ الحديث محمد زكريا الكاندهلوي، أخذ عنه قراءة وسماعاً جميع البخاري، وبعض مقدمة مسلم، ونصف سنن أبي داود، والرسائل الثلاث، والسنبلية - وغيرها، وأجاز له عامة.

ومنهم العلامة محمد أسعد الله الرافقوري، أخذ عنه سنن أبي داود إلا قدر

صفحة من كتاب الصلاة، وأول صحيح البخاري، وشرح معاني الآثار إلى نهاية كتاب النكاح، واستفاد منه كثيراً، وأجاز له عامة.

ومنهم الشيخ منظور أحمد السهارنفوري، أخذ عنه صحيح مسلم بفوت نحو 6 صفحات أو آخره ومن كتاب الصلاة، والموطأ ورواية الشيباني، وأجاز له عامة.

ومنهم الشيخ أمير أحمد بن عبد الغني الكاندهلوي، أخذ عنه قراءة وسماعاً سنن الترمذي والشمائل، والنسائي، وابن ماجه، والموطأ رواية يحيى إلى كتاب الحج، والمشكاة، ونزهة النظر، وأجاز له عامة.

وحضر ختم البخاري في دار العلوم بديوبند على الشيخ فخر الدين أحمد المراد أبادي، وسمع أوائل الستة على العلامة محمد حسن بن حامد الكنكوهي، وأجاز له عامة.

واستجاز في الكبر من المشايخ عبد الفتاح أبي غدة، وعبد الله الناجي، وأحمد علي السورتي، وعبد الرحمن الكتاني، وغيرهم.

ظهر نبوغ الشيخ وتميزه مبكراً، ولا سيما في الحديث وتحقيق مسائله، وكان بعض كبار شيوخه يرجع إليه ويسأله ويعتمد عليه، ومنهم شيخه محمد زكريا، وتوجد عدة أسئلة موجهة منه لتلميذه مقرونة بعبارات التقديم والتبجيل.

وتم تعيينه مدرساً في الجامعة في شوال سنة 1381، في تدريس صحيح مسلم، وسنن أبي داود، والنسائي، وابن ماجه، والموطأ بروايتيه، وعدد من كتب الفقه وأصوله.

ولما أراد الشيخ محمد زكريا الجوار في المدينة استخلف محله الشيخ يونس

شيخاً للحديث ومدرساً للبخاري في تلك الجامعة الكبرى، في شوال سنة 1388، مع وجود بعض كبار الأساتذة وكبار أصحابه، وكذلك فقد كتب له رسالة في 27 رجب 1387 وأمره ألا يفتحها إلا بعد أربعين سنة، وبعد أن حان موعدها وجد فيها: بارك الله في حياتك، وجعلك مشغولاً معنيّاً بالأمور الميمونة المباركة إلى مدة طويلة، وحينما تبلغ السابعة والأربعين ستتقدم عليّ وتسبقني. ويُرجى أن ذلك قد تحقق بمن الله وفضله.

تأثر الشيخ يونس كثيراً بأئمة الحديث الأوائل، وبالإمامين ابن تيمية وابن حجر وكان بحراً في علوم الحديث ورجاله وتحقيق مسائله، ما فترت عنايته إلى آخر حياته في تتبع آثار المحدثين وما يستجد إصداره والعثور عليه من كتبهم، شديد الفرح بذلك.

وقد كتب شيئاً من ذلك ومواقف عديدة عنه في مقدمتي لثبت شيخنا المسمى الفرائد، من تخريج تلميذه الشيخ الباحثة المفيد د. محمد أكرم الندوي، فإنه خرج له ثبناً مفيداً، وضمنه ترجمة شيخنا، مما أفدت منه ههنا، وكان أكرمني بتكليفه بكتابة مقدمة له، وطُبعت قبل سنتين، فلا أكرر المواقف والانطباعات التي ذكرتها هناك، وأحيل عليها ففيها مواقف عديدة وقصص عن شخصيته النادرة، وعلمه، وإنصافه، وتحقيقه وانتصاره للسنة قولاً وعملاً وسلوكاً واعتقاداً.

كتب شيخنا رحمه الله رسائل وأبحاثاً عديدة ومفيدة، بالعربية والأوردية، جمع كثيراً منها تلميذه البار شيخنا محمد أيوب السورتى، وطبع منها أربع مجلدات باسم اليواقيت الغالية، كما جمع كبار أصحاب شيخنا تقاريراته الكثيرة على الكتب وشرع في طباعة شرح صحيح البخاري منها، طبع منه مجلد بالعربية من أول الكتاب

ومجلد لشرح آخره بالأوردية، وهي كذلك بعناية الشيخ محمد أيوب، وبمراجعة شيخنا رحمه الله، وكان مغتبطاً بطباعته، وفيه من التحقيقات والفوائد ما لعله لا يوجد في الشروح.

وأما إلقاء الحديث وتدريسه فهو من سنة 1381 حتى آخر أيامه، ومن ذلك أتم تدريس البخاري خمسين دورة، سوى ما قرئ عليه في أسفاره في الحجاز وإنجلترا وغيرهما، ومنه سفره لهما قبل شهرين، وقد اتصلت عليه يوم عيد الفطر عندهم -أي منذ أسبوعين فقط- وحدثنا وجملته من الأصحاب بمسلسل العيد وغيره، وكان مغتبطاً مسروراً، ودعا بخير، وكان ذلك آخر عهدي به رحمه الله تعالى ورضي عنه، وجزاه عني وعن طلبته خيراً. عانى شيخنا رحمه الله من الأمراض غالب عمره، واشتد به الأمر أواخر حياته، وكم مرة تراجع حاله جداً وشارف على الموت، ثم يعافيه الله وينشط، إلى أن انتقل إلى رحمة الله صبيحة الثلاثاء في سهار نفور، وما أن توفي إلا وانتشر خبره في أرجاء الأرض، وتأثر به طلبته ومحبيه وما أكثرهم، وتدفق الناس إلى مكانه، وصار الناس يرسلون التعازي لبعضهم بعضاً من أنحاء الأرض، وضي عليه عصر آفي سهار نفور، وشهد لها خلق غفير من مناطق الهند، وتأسف الناس لفقده، بكى العيون وتأكمت القلوب، وما خلف في مجموعته مثله رحمه الله، ويصعب أن يأتي مثله إلا أن يشاء الله الكريم.

اللهم اغفر لشيخنا وارحمه، وارفع في الفردوس نزله، وبارك في آثاره وطلابه وانشرح حسناته، اللهم ضاعف حسناته، وبدل سيئاته، واجمعنا به في الفردوس، واجعلنا ضمن السبعة الذين تظلمهم في ظلك يوم لا ظل إلا ظلك، ممن تحابوا في الله، فاجتمعوا عليه

وتفرقا عليه. اللهم أفرغ على قلوبنا صبراً، وأجرنا في مصيبتنا، واخلف على المسلمين من أمثاله. رحمه الله، وسائر شيوخنا، وشيوخهم والمسلمين. إن الله وإننا إليه راجعون.
وكتبه محمد زياد بن عمر التكلة، حامداً مصلياً مسلماً